وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

شعر رسمية محيبس

دراسة في الرؤية والتشكيل

رسالة مقدمة

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة ديالى وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها (تخصص أدب)

من الطالبة

زينب فاضل صالح

بإشراف

أ.د .فاضل عبود خميس التميمي

١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م

الفصل الأول

الرؤية الشعرية : الذات الأنثوية وكوامنها.

المبحث الأول :الهوية الأنثوية والذات .

المبحث الثاني : تشظي الذات بين المركز والهامش.

المبحث الثالث : الاغتراب ومحنة الذات .

تتمثّل الرّؤية الشّعريَّة بوجهة نظر الشّاعرة، وقدرتها على إبداء رؤية خاصّة بها تستند فيها إلى تجربتها في الحياة عبر تراكمات مواقفها الاجتماعيَّة، والثّقافيَّة، والسّياسيَّة لإثبات ذاتها ووجودها الإنسانيّ الموازي للآخر، وتلك الرّؤية كامنة خلف ذاتها، وما تحمله من كوامن داخليَّة تحاول التّعبير عنها عبر النّصوص الشّعريَّة، الّتي صوَّرت جوانب مختلفة عن كينونتها الدّاخليَّة ورؤيتها الحياتيَّة الّتي حاولت بوساطتها إثبات ذاتها من جديد، وقبل التّطرّق إلى محاولة ترسيخ صورة لذاتها مغايرة للنّمط الّذي اعتادت عليه لابدَّ أن نتساءل ما الذّات؟، وكيف تتمثَّل في النّصِّ الشّعريّ؟.

فمفهوم الذّات مصطلح حديث إذ "لم يعرف الإنسان الذّات كما عرفها في الوقت الحاضر، بوصفها مصطلحًا نفسيًّا له دلالاته، فلا توجد لغة في العالم، سواء قديمة أو حديثة وعلى اختلاف الحضارات إلّا واستخدمت ألفاظ من مثل "أنا، نفسي، لي"، الّتي تشير إلى مكنون النّفس، لذا فإنَّ جذور مفهوم الذّات وأسسه قديمة جدًا"(١)، لكنَّه أصبح في العصر الحديث له حضور راسخ وجليّ بوصفة مصطلحًا نفسيًّا له أبعاده الوجوديَّة، وتعرّف غادة علي لكش الذّات بقولها:"هي إحساس عاقل بوجود الأنا، والأنا ليست واحدة بل موحدة، وليست جسداً منفصلاً على حده، وحواساً منفصلة أيضًا على حده، بل هي هيئة كيانيَّة عضويَّة متوازية ، فلا وجود لكيان مستقلّ يدعى الجسد ويكون اعتباريًّا منفصلاً عن الإنسان"(٢)، فالذّات هي اندماج بين ما تشعر به عبر حواسها وشعورها الدّاخليّ، وبين ما تمثّله حضوريًّا على الواقع المعيش، لذلك كثيرا ما حاولت المرأة استعادة ذاتها، وانتشالها من الانسحاق والتّهميش الّذي تعرَّضت له، في محاولة لتفعيل دورها على أنَّها كائن له ذاته المستقل عن الآخر له هُويَّته الخاصّة به، الهُويَّة الّتي

(١) مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق ،قحطان احمد إبراهيم ،دار وائل، القاهرة ،ط١، ٢٠٠٤ :١٥.
(٢) مركزية الأنا ،غادة علي لكش، دار كنوز الأدبية ،بيروت ، لبنان،ط١، ٢٠٠٠: ٢٥.

تشكَّلت من خلال ذاتها، وهذا ما تمثَّل في أغلب النّصوص الشّعريَّة النّسويَّة الّتي تحاول غالبا الكتابة عن ذاتها، لكون الكتابة عن الذّات هي الكتابة عن الأنا نفسها الّتي تدخل في تحدٍ مع الآخر لإثبات كينونتها وهُويَّتها(١)، وهذا يتطلّب الغور في أعماق الذّات وكوامنها ومعرفة دواخلها، وأبعادها النّفسيَّة والذّاتيَّة الوجوديَّة الّتي غالبًا ما توظّفها في كتابتها الأدبيَّة، والذّات في المصطلح النّسويّ "يعتبر التّصوّر التّقليديّ للشّخصيَّة شبه مترادف مع فكرة النّفس أو الأنا باعتبارها عاملًا فاعلًا مستقلًا ذاتي الاكتفاء قادراً على المعرفة السّليمة بنفسه ، وترى النّزعة الإنسانيَّة الليبراليَّة أنَّ الذّات تتمتّع بقوّة العقل ، ومن ثمَّ فهي ذات واعية وموحّدة وتمتلك جوهرًا فريدًا من الهُويَّة"(٢)، لذا هي ذات هوية مستقلّة تحاول أن تثبت كيانها دون أن تتكئ على الآخر كما هو الحال في الماضي، وهذا ما أدَّى إلى دخول الذّات في دروب التّشظّي، والانعزال، والانكفاء نتيجة التّباين ما بين طموح الذّات، وفضاء الواقع المحيط بها.

(١) ينظر: مركزية الأنا :غادة علي لكش:١٥-١٦.

(٢) النسوية وما بعد النسوية ،دراسات ومعجم نقدي، سارة جامل ،تر:أحمد الشامي ،المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ،ط١، ٢٠٠٢م: ٤٩٤.

نجد أنَّ الفلاسفة القدامى استعملوا لفظة هُويَّة (بضم الهاء) الّتي أخذوها من الضّمير (هو)، وتوسّع المعنى مع الدّراسات الحديثة، وأصبح يحمل دلالات مختلفة بحسب الاشتغال المرتبط به، فعُرف أوّلاً مرتبطًا بمعنى (الوجود) قبل أن يرتبط بدلالة (الذّات)، أي إنّه انتقل من معنى (الشّيء المفكّر) إلى معنى(أنا موجود) المرتبط بحملة ديكارت الشّهيرة، قبل أن توصل اليوم بمعنى (الفنّ) في الثّقافة والفكر النّقديّ الحديث(١).

وبصورة عامّة يمكن أن نطلق مفهوم الهُويَّة "على نسق المعايير الّتي يُعرف بها الفرد ويُعرّف، وينسحب ذلك على هُويَّة الجماعة والمجتمع والثّقافة(٢)، لأنَّ "الهُويَّة ليست سوى شعور بالانتماء أو التّماهي في جماعة خياليّة متصوّرة من لدن ذات واقعها الاجتماعيّ والثّقافيّ"(٣).

عند الحديث عن الهُويَّة لابدَّ من الإشارة إلى إنَّ هناك نوعين من الهُويَّة (هويَّة طبيعيَّة) وهي ثابتة، والأخرى (ثقافيَّة) مكتسبة وما بين هاتين الهُويّتين هناك مسافة يتمَّ تعبئتها من قبل الثّقافة الاجتماعيَّة المحيطة بالفرد، والهُويَّة حسب الفهم السّائد هي نوع من التّطابق بين العقيدة والجماعة، أي بين ثبات العقيدة وثبات الإيمان بها هي اللاتناقض، واللاتغيّر، وبهذا المفهوم يكمن جوهر الهُويَّة هو الثّبات وعدم التّغيّر فتكون هُويّة تامّة ويكون جذر انبثاقها هو الماضي بوصفه الأصل، أو (موطن الأصل) وهي بهذا تبتعد عن المفهوم الثّاني للُهويَّة المكتسبة من الثّقافة أي الهُويَّة الثّقافيَّة(٤).

---

(١) يُنظر: الهوية والزمان- تأويلات فينومينولوجية، ط١، ٢٠٠١: ٧-٩.

(٢) يُنظر: الهوية، اليكس ميكشيللي، تر: د. علي وظفة، دار الوسيم، دمشق، ط١، ١٩٩٣:٧.

(٣) الهوية والسرد، بول ريكور، حاتم الوارفلي، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٩: ٤١.

(٤) يُنظر: موسيقى الحوت الأزرق (الهوية، الكتابة، العنف) أدونيس، دار الآداب، بيروت، ط١، ٢٠٠٣: ٣٤٤-٣٤٥.

أما مفهوم الهُويَّة الثّقافيَّة يُحدّد بوصفه "مجموع السّمات الثّقافيَّة والمهيمنة خلال فترة تاريخيَّة طويلة الأمد، والّتي تميّز جماعة بشريَّة ما من غيرها من الجماعات، ويتعيّن التّمييز بين التّصوّر الميتافيزيقيّ الّذي يجعل الماهيَّة لاحقة سابقة على الوجود والتّصوّر العلميّ أو التّاريخيّ الّذي يعتبر الماهية لاحقة للوجود"(١)، وحسب ما يذهب أدونيس إنَّ "الهُويَّة الثّقافيَّة (هُويّة مترحّلة) فيما وراء الحدود كلّها أو لا تكون إلا بدائيَّة"(٢)، مغلقة والهُويَّة الثّقافيَّة تعمل وتنمو على وفق خصوصيّة الذّات وطريقة تمثّلها ثقافيًّا، لأنّ النّتاج الثّقافيّ لا يتحقّق على أرض الواقع إلّا بوجود ذات مفكّرة ومبدعة تعي خصوصيّتها، برغم أنَّ هذا لا يتمّ إلّا انطلاقًا من ينبوعين- جذرين- الذّاكرة الرّائيَّة المتحرّكة، والمخيّلة الخلّاقة المتجاوزة، أي تتجاوز انتماءها الأوّل الّذي اكتسبته من البيئة الثّقافيَّة الّتي تحيط بها بكل ما تحمله الذّاكرة من موروث عقائديّ أو تاريخيّ أو اجتماعيّ عمل على طمس الذّات، من دون الوعي لهُويّتها وكينونتها الحقيقيَّة، وهذا ما خلق مسافة بين الذّات المفكّرة وحركيّة المجتمع، وعليه يحدّد هُويَّة الفرد من خلال اقترابه أو ابتعاده عن السّائد في المجتمع المسمّى بالذّهنيَّة الجمعيَّة(٣).

وهذا يبتعد عن المفهوم التّقليديّ للهُويَّة الّذي يذهب إلى إن الهُويّة هي ما نحن دون أي جهد وجوديّ خاصّ(٤)، وبهذا المفهوم أن الهُويَّة هي الّتي تصنع الشّخص ضمن المنظومة الاجتماعيَّة وليس الذّات هو الّذي يصنع هُويَّة لنفسه، ومن المعروف أن تلك المنظومة الاجتماعيَّة بما تحملهُ من عادات- تقاليد- أحكام وأعراف منحت الرجل هُويّة يجعله المركز، وما المرأة إلّا تابعة تتشكّل هويَّتها من خلاله، وهذا ما جعل المرأة تتعرَّض لفقدان هويَّتها لقرون طويلة، ولكن تغيّر أوضاع المجتمعات عرّضها لتحوّلات تاريخيَّة

(١) مدارات الحداثة ، محمد سبيلا، الشركة العربية للأبحاث والنشر بيروت، ط١، ٢٠٠٩: ١٥٢.

(٢) موسيقى الحوت الأزرق: ٤٠٢.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ٣٠٩-٣١٠.

(٤) القصيدة النسوية ٢٠٠٣-٢٠١٣ (المركز والهامش دراسة نقدية)، شهد سلام، ط١، بغداد: ٢٠٢.

مختلفة على المستويات كافة أدى ذلك إلى تغيّر في بنيات المجتمع ومنظومته الفكريَّة وأسسهُ الثّابتة نسبيًّا، تلك الأسس الّتي عملت منذ القدم على التَّمييز الواضح بين الرّجل والمرأة في كافة جوانب الحياة ممّا أدّى إلى تغييب هُويَّة المرأة وفكرها وخصوصيّتها الّتي عمل الفكر النّسويّ على إعادتها، وهذا بطبيعة الحال ليس بالأمر السَّهل أن تتجاوز الأفكار المتوارثة، وفكّ الارتباط بتلك الذّاكرة الجمعيَّة الّتي غذَّت المجتمع بأفكارها لسنوات طويلة.

"ويمكن القول إنَّ جوهر الفكر النّسويّ باتّجاهاته المختلفة هو البحث عن حضور الهُويَّة النّسويَّة لاسيّما عند المرأة الكاتبة أو المبدعة عبر النّصوص الأدبيّة للتّأكيد على امتلاكها هُويَّة نسويَّة تحمل صبغة الاختلاف عمّا يكتبهُ الرّجل كونها هُمّشت كثيرًا في مسيرة الإبداع الإنسانيّ، فحتّى اليوم والمرأة تعيش صراعًا في مسألة تمثيل الهُويَّة وحدود ذلك التّمثيل"(١)، وهذا ما عملت عليه المرأة من خلال الكتابة على تأكيد هُويَّتها أي هُويَّة خاصَّة منطلقة من ذاتها بوصفها أصلًا وليست تابعة لهُويَّة الرّجل حاجة ملحّة، فبذلك تمثّلت الكتابة عند المرأة "علامة وعي جديد يدخل عالمها النّسائيّ السّاكن الهادئ المصان، ودخولها إلى عالم الكتابة هو خروجها من عالم الصّمت والتّغييب وبهذا الخروج والتّحوّل يولد وعي المرأة بذاتها وكيانها، وما يحيط بها بفعل الكتابة الّتي ستفتح شهيّتها للأسئلة، والّتي ستربك وعيها السّاذج فتولّد لديها حالة من القلق وهي في دخولها إلى هذا العالم تكشف عن هُويَّتها المفقودة منذ زمن، وهكذا تنظر إلى فعل الكتابة وتقيم معها علاقة حميميّة بطقوس المرأة/ الأنثى الّتي تصنع تميّزها، أي بفعل الكتابة تبرز وتتمظهر خصوصيَّة الكتابة عند المرأة من خلال إثبات ذاتها أوّلًا وخصوصيَّة اختلافها عن الآخر ثانيًا"(٢).

---

(١) يُنظر: النسوية في روايات غادة السمان، ندى خوّام حمد مسلم، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٣م: ٤٧-٤٨.

(٢) المرأة واللغة، عبدالله الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، ط٣، ٢٠٠٦م: ١٣٧.

ويتجسّد إثبات الذّات في ما نستطيع أن نكون دون تبعيّة الآخر، وهذا ما يولّد شيئًا من الاختلاف عن الآخر، الّذي بدوره يولّد هُويَّة مستقلّة للمرأة الّتي يميّزها عن هُويّة الرّجل؛ لأنَّ مسألة الاختلاف تفضي في النّهاية إلى طرح مسألة الهُويَّة، فالاختلاف هو الّذي بدوره يولّد هُويَّة خاصَّة للشّخص ليثبت ذاته، فحين يبحث الأشخاص عن الاختلاف الّذي يميّزهم عن غيرهم فهم من جهة أخرى يؤكّدون على هُويَّتهم الخاصَّة، ويهتمّون بها بما يصنع تميّزهم، لأنَّك حين تدرك ما يميّزك، تسعى حضور هُويّتك بوعي تامٍّ ومتكامل، وبكافّة المجالات الّتي تحقّق من خلالها ذلك، وهذا ينعكس على الأفراد أو حتّى الجماعات المختلفة، وهذا ما سعت المرأة للحصول عليه(١)، بعد أن مرَّت بثلاث مراحل حسب ما تشير (إيلين شوالتر) "المرحلة الأولى هي مرحلة محاكاة الأشكال التّقليديَّة ثمَّ تأتي بعدها مرحلة الاعتراض على ما هو سائد من معايير وقيم، ثمَّ مرحلة اكتشاف الذّات أي (إيجاد هُويَّة) أو محاولة إثبات هُويَّة"(٢) ، ولا بدَّ من إشارة إلى إنَّ مسألة الهُويَّة لدى المرأة/ الشَّاعرة اليوم لم تعد كالسّابق إنَّما هي "مسألة اكتشاف وتشخيص الواقع النّسويّ بغية تصحيح النّظرة السّائدة غير المنصفة ممّا أتاح للمرأة العمل في ظلِّ منظومة ديناميكيّة أساسيّة تعمل على تنوير البنية الكلّيّة لثقافة المجتمع لأجل التّواصل معه، وإعادة الانتماء إليه بهويَّة خاصَّة تمثّل ذاتها وكينونتها وهويَّتها"(٣)، إذ إنّ هذه التّحوّلات الّتي أفرزتها التّقلّبات الحضاريّة أسهمت بشكل أو بآخر في صناعة وعي نسويّ منتفض ضدّ الأعراف الاستبعاديَّة السّائدة، وحفّزت المرأة على القيام بحركات تحرّرية من الممارسات الاستعباديَّة.

---

(١) يُنظر: التأويل والحقيقة– قراءات تأويلية في الثقافة العربية، علي حرب ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٧: ١٩٦.

(٢)النسوية وما بعد النسوية، سارة جامبل:٢٥٥.

(٣) جدلية التواصل / القطيعة في الخطاب النسوي المعاصر ،(قصيدة امرأة ورجل أنموذجا)، فاتنة محمد حسين ، دراسة منشورة في موقع بشرى البستاني https://bbusta/ni.wordpress.com

١- استلاب الذّات:

في البدء لا بدَّ من معرفة معنى الاستلاب إذ ورد عند ابن فارس بمعنى "الأخذ بسرعة وقوّة"(١)، وورد في الصّحاح بمعنى الاختلاس "سلبت الشّيء سلبًا والاستلاب الاختلاس"(٢)، أمّا في معجم الرّائد جاء معنى الاستلاب بمعنى "سلب الشّيء أخذه قهرًا"(٣)، فيبدو أنَّ كلّ معاني الاستلاب الّتي وردت في المعاجم تشير إلى إنَّ الاستلاب هو أخذ الشّيء من دون علم المسلوب منهُ، أو رغمًا عنه، وأن فعل اختطاف الشّيء من الآخر وسلبه إيّاه سيصاحبه دون شكّ ظلم وقهر للآخر، وهذا ما تعرّضت له المرأة من قبل الآخر.

أمّا مفهوم الاستلاب اصطلاحًا هو "حالة الفرد الّذي يكون –نتيجة لظروف خارجة عن إرادته ، اقتصاديَّة أو دينيَّة أو سياسيَّة– وقد انقطع عن الانتماء إلى نفسه أو عن الشّعور بأنَّه المتصرّف في نفسه فيعامل معاملة الشّيء، لا بل يصبح عبداً للأشياء، بل عبدًا لنفس إنجازات الإنسانيّة من الاختراعات الآليَّة والنّظم الاجتماعيّ، والأوضاع السّياسيَّة الّتي تثور ضدّه وتنقلب عليه"(٤)، إذ نعتقد أنّه مدى التّأثير الواقع على النّفس نتيجة التّعرض لظروف خاصّة إيجابيَّة كانت، أو سلبيَّة.

وبعد معرفة مهمّة الاستلاب يتبيّن لي أنَّ فعل الاستلاب وقع على المرأة عبر ثلاثة محاور (الثّقافة، الرّجل، المرأة)، فكانت هذه المحاور هي المسؤولة عمّا تعرّضت له المرأة

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: محمد عوض مركب ، فاطمة محمد أصلاف، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت– لبنان، ٢٠٠١: ٤٦٦.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، د.ط، القاهرة، ٢٠٠٩: ٥٥.

(٣) يُنظر: الرائد (معجم لغوي عصري) جبران مسعود، دار العلم للملايين، ط٧، بيروت– لبنان، ١٩٩٢: ٤٤٦.

(٤) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، ط٢، بيروت– لبنان، ١٩٨٤: ٣١.

من تهميش واستلاب، فالثّقافة الاجتماعيَّة كان لها الدّور الأوّل في تقوية فعل الاستلاب على المرأة إذ أسهمت إسهامًا كبيرًا في تقوية سلطة الرّجل ومنحه حقّ التّحكّم بالمرأة، وفرض القيود عليها، لأنَّ المجتمع في الحقيقة هو مجتمع ذكوريّ يتحكّم فيه الرّجال، ويعد أعرافه وقوانينه الرّجال إذ حدد دور الاثنين، فكان نصيب المرأة الهامش، في مقابل المركز الّذي تربّع على عرشه الرّجل، إذ قام المجتمع بتقسيم العمل، مانحاً السّيادة للرّجل، وحصر النساء وتقيدها بأعمال نسويّة الطّابع في حقل الإنتاج الاجتماعيّ(١)، وهذا واضح في واقع الحال لاسيّما في المجتمعات العربيّة نتيجة هيمنة النّسق الثّقافيّ الذّكوريّ على الأعراف العامّة في المجتمع.

أما المحور الثّاني: (الرّجل) تضافرت مجموعة من العوامل منها عوامل بيولوجيَّة واجتماعيَّة، واقتصاديَّة ، وثقافيَّة، لمنح الرّجال سلطة العالم، والتّحكّم فيه، كما تركت قراءة الدّين الّذي فسّره الرّجال أثرًا في تثبيت هيمنتهم، وتقوية نظامهم الّذي جعل من الصّعب على النّساء مقاومة سلطة الرّجل ومناصفتها "ويلتقي الفقه والفلسفة في تأسيسها لبنى معرفية مغلقة، ذات توجّه فكريّ أحادي ، تطبعه سيادة الفاعليّة والذّكورة، ويقوم على إقصاء الآخر، إذ لا مجال فيه لحضور الأنوثة كطرف في الفعل"(٢)، هو بذلك حدّد مكان الأنثى داخل المجتمع من خلال ما منح من هيمنة وسيطرة على الآخر، وإقصاء حقّه في تحديد قانونه الخاصّ، فالقراءات المغالطة لمفاهيم الدّين مهّدت لمثل هذا الإقصاء، فضلًا عن أثر فحولة المجتمعات العربيّة، ورغباتها النّفسيَّة المتشدّدة في ترسيخ القيم الذّكوريَّة، واستبعاد القيم الأنثويَّة بصورة قمعيَّة.

---

(١) يُنظر: الأنثى في الأصل: د. نوال السعداوي، مؤسسة هنداوي، د،ط، د،ت : ٢٤، واللغة والجنس: (حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة): يحيى برهومة، دار الشروق، ط١، عمان، الأردن، ٢٠٠٢: ٣٠.

(٢) الأنوثة في فكر ابن عربي، نزهة براضة، دار الساقي، ط١، بيروت– لبنان، ٢٠٠٨: ٣٠.

ثمَّ بعد ذلك يأتي انصياع المرأة لذلك التّهميش في استلاب ذاتها عبر اندماجها في تلك الثّقافة، الّتي هيمنت عليها، وتقبّلتها من دون أيّ ردٍّ فعل مقابل ذلك الاستلاب، أو الإقصاء الّذي تعرّضت له من قبل الآخر، وهذا ما ينعكس سلبيًّا على تكوّن هُويَّة المرأة، وممارسة دورها بالشّكل المطلوب، وبناء على ذلك نرى أن الشّاعرة سلّطت الضّوء على ما تعرّضت له المرأة من استلاب لذاتها، الّذي هو استلاب لهُويَّتها؛ فجاءت نصوص الشّاعرة كاشفة لما تعرّضت له المرأة من خلال نصوصها الشّعريَّة، وفي نصّ لها تقول:

كنت أعبّد طريق عودتك بالحنين
وأرنو وكلّي توجّس
من تعب تراكم في خواطري
ليس لك درب كي اقف وانتظر
انت تنهمر كالمطر من جميع الزّوايا ...(١)

لا يخفى على أحد كيف هيمن أثر الفاعل وانصياع المستسلم لما يملئ عليه الآخر، فالنّصّ يدور حول (الأنا/ المرأة، أنت / الآخر) وكيف تقف الذّات مستسلمة لدور الانتظار من دون أيّ ردٍّ فعل تجاه الآخر، الّذي يمارس عليها الهيمنة التّامّة الّتي تجعلها ضمن سلطته وتبعيّته، ونرى ذلك تشظّي الذّات في دروب عديدة، وضعها لها الآخر المسيطر ليجعلها في موضع الوقوف من دون فعل من جهة، والانتظار المطيع الّذي يتلقّى الفعل منه من جهة أخرى، فالوعي الّذي تحمله الذّات هنا هو وعي ضعيف، ويتّسم بالانجرار خلف الآخر الّذي تتقبّل منه كلَّ شيء من دون محاولة رفض، أو اعتراض على ذلك، فنلاحظ الفعل (تنهمر) كيف يتخلّل الآخر بكل كيانها، وتتكوّن عبر ذلك صورة عدمية لاوجود لها إلّا من حيث التّماهي معه، أو عبر انعكاس ظلّه عليها، فينهمر داخلها من كلِّ زواياها فتكون الذّات في موقع الانتماء إليه، بينما هو يمارس ضدّها القمع والإقصاء، (أنت تنهمر كالمطر من جميع الزّوايا)، فنرى فعل الانهمار يشير إلى القوّة

(١) موسيقى الصباح، رسمية محيبس: ٥٥.

والتّدفّق داخل الذّات كمحاولة يائسة منها للرّفض، وجاءت دلالات المطر تحمل بعدين: الأوّل: إنّها تحمل روح الجفاف، وهو الّذي يستطيع أن يرويها شعوريًّا وحياتيًّا، أمّا البعد الثّاني: إنَّ المطر ينزل ويتساقط من السّماء فيكون إسناد الفعل والعمل والنّزول له، وما على الأرض إلّا التّقبّل والاستلام له لتحيا في ظلّ وجوده وممارساته، وهي مماثلة لحالة الذّات والآخر.

وفي المعنى ذاته تقول:

كنت صغيرة حين سمعني أبي أقرأ شعرًا
لهذا تعلّمت أن أقرأ بصوت خفيض
كنت بالغةً حين اكتشفت أمّي أنّي أقرأ شعراً
وأنا أنظر نحو المرآة
والآن يخيل لي
أنّ ظلال الشّجرة في الحديقة تصغي إليّ
وحبّات النّدى المتساقط عبر الزجاج
تحاورني وتفهمني
تعلمت اختيار جمهوري الخاصّ
هذا الظّلام الّذي يعانق غرفتي
حين ينصرف الآخرون
أو ربما طائر يخطف مبتعدًا في الظلام
وقد تجيد النّجوم قراءة القصيدة(١)

يتمثّل استلاب الذّات هنا من قبل البنية الاجتماعيّة، الّتي أُسّست على ثقافة وأيديولوجيّات معيّنة عدّها الآخر لها، فتنطلق الشّاعرة من فكرة دينيَّة مفادها أن صوت المرأة عورة، والّذي رسّخته المؤسّسة الاجتماعيَّة الثّقافيَّة الّتي فرضت على المرأة القراءة بصوت خفيض، فالصّوت الجهوريّ من سمات الرّجل لا المرأة، ففي سنّ الطّفولة كانت

(١) موسيقى الصباح، رسمية محيبس: ٥.

تعاني من تلك النّظرة الدّونيَّة القاسية تجاهها، وهي تمارس الأشياء ببراءة وحسن ظنّ، ولكنَّها مع سنِّ البلوغ تبدأ بالتّمرد على الممارسات القمعيَّة، والسّلوك الثّقافيّ العامّ، فلم تعد تخفض صوتها في حضرة والدتها الّتي تنتمي إلى السّلطة الأبويَّة، ومع مرور الزّمن تبدأ روح التّمرّد، والثّورة على القيم والأعراف، والتّقاليد الثّقافيَّة تزداد مع زيادة تفهّمها للواقع المحيط بها، وفي النّهاية تقرّر الانتماء إلى الطّبيعة والاندماج بها لتغدو فيما بعد جمهورها الواعيّ، فظلال الأشجار تصغي لقصائدها، وحبّات النّدى تحاورها بوعي، والظّلام إلّا الظّلام لم يتركها تتنفس الصّعداء، فما يزال يكبّلها بسلطته القاهرة، ويبدو أن الظّلام دلالة على السّلطة الثّقافيَّة الأبويَّة الّتي تحاصر الأفكار التّحرّريَّة التّنويريَّة، الّتي تؤمن بالخلاص من سلاسل الاستعباد، والطّائر يمثّل القوّة التّنفيذيَّة الضّاربة ذات العنف والقسوة، الّتي تستثمرها الثّقافة لتغييب من يتمرّد على سلطتها أو يحاول الخروج عليها، وفي قولها:(وقد تجيد النّجوم قراءة القصيدة) إيحاء إلى المرأة في المجتمع العربيّ قليلاً ما تستوعب الخداع الّذي تمارسه السّلطات عليها، وأنَّ قصيدتها (لا تنتمي للأرض) لأنّ هناك استلاب تتعرّض له يمنعها من ممارسة ما تريد، وتطمح إليه.

وفي نصّ (خيبة) تقول:

حين ولدت

أصيب أبي بخيبة أمل كبيرة

وكذلك أمي

كان يريد ولداً يسنده في شيخوخته

لكنَّه مات وهو يسند أخي

الّذي عاد من الحرب

بساق واحدة(١).

(١) شغب أنثوي، رسمية محيبس: ٦٨.

يهيمن الوعي الرّجعيّ القبليّ على النّصّ بشكل عامّ، الّذي يبدأ من لحظة الولادة فنلاحظ طغيان الأفعال الماضية في النّصّ(ولدتُ – أصيب – كان – مات – عاد)، وذلك دلالة على طغيان روح الماضي في الوعي الجمعيّ للثّقافة العربيَّة الذّكوريَّة، الّذي يعمل على ممارسة السّلب للذّات وزجّها في الفكر السّائد لتكوين ذات فكر رجعيّ ينتمي إلى الثّقافة السّائدة في البنية الاجتماعيّة المحيطة، فهذا الفكر هو امتداد لفكر الجاهليَّة، فالثَّقافة الجاهليَّة ما زالت ممتدّة، وقد ترسَّبت داخل البيئة العربيَّة حتّى بعد مجيء الإسلام مع كل ما يحمله من مبادئ مخالفة لتلك العادات الجاهليَّة المقيتة، فقد كانت العرب قديماً تصاب بخيبة أمل كبيرة حين يأتي المولود أنثى، ويصف النّصّ القرآنيّ تلك الحالة ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾[1]، والمأساة أنّ تلك الخيبة لم تكن خيبة الأب فقط، بل امتدّت لتشمل الأم أيضاً الّتي خضعت لثقافة ووعي السّلطة الذّكوريَّة، وأصبحت جزءاً منها من دون وعي للذّات بذاتها، لذلك لفظة(وكذلك أمّي) تشير إلى استلاب الذّات من قبل المرأة نفسها لذاتها حينها تندمج وتنصهر في تلك الثّقافة من دون محاولة منها للتّغيير، لذلك ارتكز النّصّ على الخيبة الّتي تصيب الوالدين عند ولادة الأنثى بدلالة(بخيبة أمل كبيرة)، وبعكسها السّراء الّتي تصيبهما عند ولادة الذّكر، فهو السّند والقوّة، بينما المرأة تعدّ كائناً ضعيفاً ولا تعدّ سندًا ، ومع لحظة الولادة تبدأ مرحلة التّهميش والاستلاب لذاتها وحريّتها وتطلّعاتها لتوضع ضمن إطار بيئة معتادة على الحجب، وعزلها التّامّ عن المجتمع وإنتاجه أثر الضّغط القمعيّ.

٢-إثبات الذّات الأنثويَّة:

تمخّضت إرهاصات ردّ فعل تجاه الاستلاب الّذي تعرّضت له المرأة لحقب طويلة، فجاءت محاولات عديدة منها لإعادة إثبات ذاتها من جديد ضمن الإطار الاجتماعيّ المحيط بها عبر تكوين فكر وعي جديد مغاير للوعي الجمعيّ السّائد، الّذي كانت

(١) سورة النحل:٥٨.

مندمجة في أعرافه، ومتقبّلة لقوانينه الظّالمة، فالمرأة أصحبت على وعي ومعرفة بذاتها مما جعلها تخلق جسوراً مغايرة للنّمط المعتاد سواء مع ذاتها، أو مع الآخر، وهذا ما يسمّى بإعادة تكوين وعي فرديّ خاصّ بالنّساء، وهو وعي تنويريّ تثويريّ يغاير المعطيات السّحيقة، ويتمرّد على الفكر التّقليديّ الّذي امتدّ عبر الحقب التّاريخيَّة الطّويلة. وسنتناول بعض النّصوص الّتي تناولت هذا الجانب، ومن تلك النّصوص نصّ(شجرة صبّار)، إذ تقول:

لستُ نجمةً كي أغيب
ولا شمسًا كي يعتريها الزّوال
أنا شجرة صبّارٍ ترتوي من أعماقها
تغازل شقاوة الهواء
ترسم ظلّها على صخور الجسر الحمراء
لم أنحدر من سلالة الملوك
كي أُرمى في متحف الماضي
ولستُ زهرةً في حدائق الأثرياء
يقطفها مراهقو المدن
ويرمون بها إلى الأرصفة
أنا نبتةٌ جنوبية
اكتسبت قوَّتها لطول ما تأرجحت
في الأعاصير تقبع وحيدةً قرب فرن المعنى
تتصيّد قصائدًا ساخنة
لتكتبها على جدارها الّذي
لا يصلح إلا للحوار مع الحمائم الجريحة(١)

(١) طلقة أنثى، رسمية محيبس: ١٠٥-١٠٦.

تتمركز ذات الشّاعرة بقوّة في النّصّ الشّعريّ عبر استعمالها ألفاظ ذات دلالات توحي بالتّمركز والقوّة، والاكتفاء الذّاتيّ، فهي تنفي عن ذاتها صفات، وتثبت لها صفات أخرى، فهي تستثمر دوال(النجمة – الشّمس) لإيصال رؤيتها إلى المتلقّي، فالنّجمة والشّمس تمثّلان سلطة المركز، فنلاحظ منذ بداية النّصّ تفكّر برؤية ثوريَّة تستشرف تغييب سلطة المركز المتعاليّ على واقع الهامش وزواله، فيأتي ذلك عبر النّفي ونسق الرّفض، فاستطاعت الشّاعرة فك الارتباط عن تلك السّلطة المهيمنة، والامتزاج بالمهمّشين الّذين لا سماء تمثّلهم، ولا سلطة تعلو على إرادتهم (أنا شجرة صبّار ترتوي من أعماقها)، فهي تنتمي للأرض (الأم)، ونلاحظ دلالة العنوان تمتدّ إلى النّصّ كلّه، فالصّبّار شجرة تتأقلم مع المناخ أكثر من جميع الأشجار الأخرى، لذا فهي شجرة بيئيّة بامتياز، تقاوم الجفاف، ولا تحتاج إلى ري مستمر، وتحبس الانجراف، كما تحبس التّصحُّر، فتقاوم أجواء الصّحراء الحارة، شجرة شوكيّة لا تتأثّر بالجفاف، فشجرة الصّبار دال يؤدّي إلى مدلولات تنفتح على الذّات، كما تنفتح الذّات على محمولات شجرة الصّبّار الدّلاليَّة من قوّة واكتفاء، ومجابهة بيئة قاسية وثقافة صحراويَّة عنيدة تمثّل بيئة الواقع المحيط بها، وليس من سهولة إثبات ذاتها في هكذا واقع تتمركز فيه سلطة الآخر، ولهذا نعتقد أنّ سمات هذه الشّجرة تمثّل النّسق الضّدّ المقاوم لذات الشّاعرة تجاه تلك الممارسات الذّكوريّة المهمّشة للنّسق الأنثويّ.

ويبدو واضحًا للقارئ طغيان الأفعال المضارعة على النّصّ(أغيب– يعتريها– ترتوي– تغازل – ترسم– أنحدر– يقطفها– يرمون– تقبع– تتصيّد– لتكتبها– يصلح)، وهي أفعال تدلّ على الحال والاستقبال، وهي أفعال حيويّة وحركيَّة منفصلة عن الماضي ومرجعيّاته، وكأنَّ الشّاعرة ترفض تلك الثّقافة الذّكوريَّة الّتي تأسّست على أفكار ماضويَّة مؤمنة بالإلغاء والتّهميش لدور المرأة في المجتمع، وأنَّ طغيان أفعال الحال والاستقبال لم يأتِ اعتباطاً وإنَّما جاء ليحمل دلالة التّغيير، والثّورة ،والتّمرّد على الأعراف التّاريخيَّة وممارساتها القمعيَّة، الّتي تسبّبت بتبعات ظلاميَّة لحقوق المرأة ومستقبلها؛ لذلك فهي

تحاول بناء حاضر ومستقبل مغاير لأفكار الأسلاف ووعيهم، وتحاول تكوين وعي جديد فيه هُويَّة واستقلال للذّات بعد كلّ ذلك الإلغاء.

ويظهر لنا أنَّ الذّات تتعالى على فكرة الزّوال والاضمحلال؛ فهي مركز متحرّك لها القدرة على التّحمّل، والتّعايش، ورفض وقبول ما تشاء مهما تحمل البيئة المحيطة من قساوة، ويبرز ذلك من خلال(أنا شجرة صبّار)، فهي لم تشبّه ذاتها بشجرة تحمل شكلاً جميلاً كالورد، أو غيره الّذي يظهر جماله لفترة ثم ينتهي، وإنما شبّهت ذاتها بشجرة لها القدرة على التّكيّف، والتّحمّل مع الطّقوس جميعها، فهي متماسكة ثابتة مهما كانت قوة الأجواء المحيطة، تحمي نفسها بنفسها، ونلاحظ أنَّ (الأنا) الّتي تتصدّر العنوان تتماثل بين ذات الشّاعرة وشجرة الصّبّار، فذات الشّاعرة قويَّة صلبة في مجتمع يحمل ثقافة صحراويَّة، ومجتمع متصحّر مثل هذا لا يتكيّف معه إلّا من يحمل صفات تلك الشّجرة بما تحمله من حمولات ذاتيَّة مجابهة للعادات والتّقاليد الذّكوريَّة، الّتي تهمّش الذّات الأنثويَّة وتحجبها وتقصيها، فهي قادرة على الوقوف بشموخ أنثى أمام تلك الأعاصير الصّحراويَّة، وتحمل شقاوتها وتعاستها بقوة وإصرار وعناد، فهي ذات تتكيف مع أسوء الظّروف وتجابهها بصلابة الصّبّار ؛لأنَّها من مدينة عراقية شامخة وضاربة في عمق الحضارة العالميَّة، ويأتي قولها (لم أنحدر– أرمى– لست زهرة) دالاً على الاعتزاز بالذّات، ورفض للتّهميش، والتّبعيَّة الّتي ألحقت بالمرأة طويلاً، وهذا يؤشّر نوعاً من الوعي، ورفضاً للتّسلّط من الآخر على ذاتها الأنثويَّة، فهي لم تعد تابعاً متّكئًا على الآخر، ويستمدّ قوته منه، بل مارست الذّات حضورها الحقيقيّ النّاتج عن وعي بذاتها، فلم تعد قابعة تحت ظلّ السّكوت، وسياسة التّصميت، والتّهميش، بل بدأت ترسم ملامح كيان حقيقيّ مستقل سعت الشّاعرة إلى حفر أعماقه لإخراجه إلى أرض الواقع، وهذا يوضّح مدى الوعي بين ما كانت عليه الذّات في القرون الماضية، وبين ما أصبحت عليه اليوم، فبينما كانت ذاتاً خاضعة يُتَحَكَّمُ بها، أصبحت ذاتاً مستقلّة تتحكَّم بنفسها، وأصبح هناك تحوّل يقبع خلف تلك الذّات، وهو ما عبرت عنه بكل وضوح ووعي داخليّ

كامل، وبشكل مستقل وجوهريّ؛ فهي ذات غنيَّة وثريَّة وممتلئة داخليًّا، ونتيجة لما تعرّضت له من واقعها من حجب، وتغييب فأصبحت ذاتاً شبه منفصلة عن واقعها؛ لأنَّها لم تعد تتقبّله، أو تتعايش معه، لذلك صارت منطوية على نفسها، ومكتفية بذاتها، وقد اكتسبت تلك القوّة نتيجة لتلك الأعاصير القمعيَّة الّتي تعرّضت لها، فجعلتها ذاتاً مستمرّة متجدّدة على وعي ممّا تعرّضت له، وعايشته في حياتها، وما مرَّ بها من ظروف صعبة وقاسية؛ لذا فهي ترفض أن توضع في المتحف، بمعنى ترفض الماضي والفكر الصّنميّ، لأنّها ذات حرَّة لا تقبل أن تقبع في سلطة الماضي، والماضي هنا إشارة إلى كلّ ما يتمثّل من المأساة الّتي مرّت بها، وما تعرّضت له المرأة من التّبعيَّة والتّصميت، حيث كانت تُحجب في البيوت، وتُرمى كما تُرمى التّماثيل في المتاحف من دون حركيَّة، فهي ساكنة مسلوبة الإرادة، وهكذا كانت المرأة في الماضي(اكتسبت قوّتها)، فاكتساب الذّات لتلك القوّة كان بفضل ما عاشته، وليس لأحد الفضل في ذلك عليها، وهذا يمثّل تحوّلاً كبيراً في الوعي الشّعريّ النّسويّ الحديث.

وفي نصّ آخر مماثل للمعنى ذاته تقول:

لاتجلسي في الظَّلَّ
افتحي الباب واسقي أصص الأزهار
فكري في إغاضةِ الخريف بِزهرة
املئي صفحات التّعبير بفوضى
اصطادي الكلمات المراهقة
بصنَّارة الغواية
ثم اسكبي شيئاً من عطر الروح
كي تتفتح براعم اللّغة
اخلعي جلباب العزلة
مازال فضفاضًا عليكِ
وخذي يد العاصفةِ

دعيها تقدك حيث تشاء
لست قارورةً كي تتحطَّمي
كوني مليئةً بالأفكار كخليَّة نحلٍ
مضيئة كفكرةٍ جامحةٍ
كوني كما أنتِ ولا تأبهي(١)

يبدأ النّصّ من خطاب الذّات للذّات (لا تجلسي في الظّلّ) نهي عن الجلوس في الظّلّ، والظّلّ هنا يعني الانهزاميَّة، والخوف من المجابهة، والابتعاد عن الضّوء، أي ابتعاد عن الحياة، والحجب في منطقة الظّلّ، الّذي أُعدّت من الآخر، فإنَّ الذّات ترفض هذا، وعلى وعي مغاير له ، فتتسلَّل روح التّمرّد، والثّورة، والمجابهة للحجب الّتي وضعتها السّلطة الأبويَّة على المرأة فحيّدتها إلى منطقة الظّلّ والعزلة، وقولها:(افتحي الباب) يوحي بتفكيك السّلطة المهيمنة الّتي طالما وضعت الأنثى خلف الأبواب محجوبة عن فعل الإنتاج، وفتح الباب يشير إلى إعلان الثّورة ومجابهة الواقع الّذي يحاصر المرأة ويكبلها، وهي دعوة إلى تحقيق الوجود، ورفض نظرات النّقص الموجّهة إليها، فالنّصّ هنا يقوم على مرتكزين: الأوّل: وعي الذّات بما مارسته السّلطة الأبويّة عليها من تضييق وخناق، والثّاني: رفض تلك الممارسات السّلطويَّة من خلال أفعال الأمر الّتي طغت على النّصّ(افتحي – اسقي – املئي – اصطادي – اسكبي – اخلعي – خذي – دعيها – كوني)، وتمثّل أفعال الأمر سلطة على من يقع عليه فعل الأمر، وهي في النّصّ توجّه الأوامر إلى من ينتمون إلى فئة المهمّشين، تخاطبهم موجّهة إلى عدم الانصياع لقوانين الثّقافة الذّكوريَّة السّائدة وأعرافها، فالذّات هنا غير مستسلمة، أو خاضعة لتلك الذّهنيَّة، بل ذات رافضة متمرّدة على أعراف المجتمع وتقاليده البائسة، ذات واعية وحركيَّة وفاعلة، والنّصّ ينطلق من بؤرة التّمرّد وينتهي بها.

(١) طلقة أنثى، رسمية محيبس: ٧-٨.

Abstract

The feminist movement witnessed great activity in the last century, especially after a new civilized trend called the (postmodern era), which witnessed many intellectual and revolutionary movements that opposed the centralities established by modernity and what preceded it. Perhaps the most prominent of those movements opposed to the central authority was the feminist movement, which took upon itself the task of liberating itself from the repressive authority of the center, and disengaging from the marginal positions in which women were placed for long periods of time. A position that was based on a servitude culture that was not easy to escape from its strong hand. This study was based on two concepts: the first: the vision based on the cognitive awareness that seeks to change and revolutionize against the social structures that have long sought to obscure the feminine entity and obliterate her entity.

Concerning the second concept: it is the formation based on the conscious vision of itself and its existence, as well as its awareness of choosing linguistic words that are in harmony with the given facts of the wave of postmodernism, which produced a feminist epistemological vision that produced texts opposed to the other.

Since we are in the process of studying these major transformations, we have referred to many questions that open up a desire to recognize many of their

facts, so we had to ask how the vision was formed in the poetess's poetry? Was it a feminine epistemological vision representing the depth of poetess herself? Was it based on mental structures that helped in producing texts bearing visionary cognitive themes and artistic styles that differ somewhat from what the era of modernity witnessed, and its authoritarian centralities? Was the poetess capable, through her experience, to identify with postmodern thought based on undermining the central ideologies and re-forming them again? This is what opened to the reasons and details of the thesis in general.